مركز الدراسات الاستراتيجية والإقليمية

تحليل الأسبوع

الإصدار: 82 (من 16 إلى 23 أغسطس/آب 2014)

تحتوي هذه النشرة على تحليلات، يقوم بها مركز الدراسات الاستراتيجية والإقليمية لأهم الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أفغانستان بشكل أسبوعي، حتى يستفيد منها المهتمون وصناع القرار.

ستقرؤون في هذه النشرة:

- مقدمة 3

الاستقلال بين الأمس واليوم!

- من الاستقلال إلى الحرية 4
- دور الاستبداد 5
- الاستقلال والتجريد 5
- دور الأبطال في التاريخ 6
- استقلال اليوم 6

أفغانستان في فخ مؤامرات أمريكا وباكستان

- المصالح الأمريكية الباكستانية والمشاكل الموجودة 7
- المشاركة الأمريكية الباكستانية في أفغانستان والسياسة المزدوجة 8
- موقف أفغانستان 9

مقدمة

في هذه النشرة من «تحليل الأسبوع» تمت مناقشة ذكرى استقلال أفغانستان من الاستعمار الإنجليزي عام 1919م، مع إلقاء النظرة على مفاهيم الاستقلال والحرية، وما يمر به البلد أثناء الاحتفال بالاستقلال. وفي موضوع ثان، نناقش الأزمات الأخيرة والتهديدات الموجودة بين أفغانستان وباكستان مع المؤامرات التي تواجهها أفغانستان من قبل أمريكا وباكستان.

* قبل 95 سنة حصلت أفغانستان على استقلالها من الاستعمار الإنجليزي، وكل سنة يتم الاحتفال بهذه الذكرى. بعد مجيء القوات الأمريكية إلى أفغانستان عام 2001م، جرت وتجري محاولات جادة لإقناع الشعب، بأن الاستقلال لا يعني عدم وجود سلطة أجنبية في أي بلد، لأن ذلك تعريف خاص بفترة الحرب الباردة. فالسؤال الذي يطرح نفسه، ما هي الرسالة التي يحملها الاحتفال بذكرى الاستقلال؟
* من جانب آخر، ومع تصاعد وتيرة الاضطرابات الأمنية في باكستان، يبدو أن العلاقات الأفغانية الباكستانية على وشك أن تدخل مرحلة جديدة، فهناك خطوات باكستانية جديدة في تعاملها مع أفغانستان، توضح تشابك لعبة سياسية جارية. إن أمريكا لحضورها في أفغانستان تلعب دورا كبيرا في صياغة العلاقات الباكستانية الأفغانية، والسياسة الأمريكية الباكستانية المشتركة تجاه أفغانستان، تشكل تهديدا مستقبليا للبلد. لذلك تمت مناقشة هذه الأمور في مركز الدراسات الاستراتيجية والإقليمية، وإليكم التفاصيل:

الاستقلال بين الأمس واليوم!

لكل شعب مفاخره الوطنية. وهذه المفاخر المتشركة عوامل توحد عناصر لغة وعرق ودين مع بعضها البعض، وتشكل منهم أمة واحدة.

ويُعتبر استقلال أي بلد مفخرة وطنية عظمى. هذه أمريكا التي ترى نفسها أكبر قوة عالمية، تحتفل سنويا بذكرى استقلالها من البريطانيا.

لماذا ينبغي أن نحافظ على ذكريات المفاخر التاريخية؟ لأن المفاخر التاريخية دليل حيّ على ماض مشترك لأي أمة، ومن شأن هذه العناصر أن ترسخ الوحدة بين أبناء الوطن الواحد، وفي الأوساط الشعبية. إن آبائنا إذ قاموا بتحرير هذه البلاد من سلطة الاستعمار الإنكليزي قبل 95 سنة، فإن ذلك يعني أنهم تعلقوا جميعا بهذه الأرض فأحبّوها وضحّوا من أجلها.

من الاستقلال إلى الحرية

إن كلمتي الاستقلال والحرية يتم استخدامهما بصورة مترادفة أحيانا، ولكن بالمعنى الحقيقي هناك تعريف خاص لكل واحدة منهما. يرى الكثيرون أن الإستقلال يعني الحرية من أية سلطة أجنبية، ومن عبودية أي فرد أو مجموعة أو شعب آخر، وإن البقاء تحت سلطة الغير، وعدم الحرية في أخذ القرار للنفس نوع من الرق والعبودية، وهو يعني عدم وجود الاستقلال.

وأما الحرية فهي تخص نوعية تعامل الدولة مع الشعب في مجال السياسة الداخلية. وبعبارة أخرى إذا كان القانون يحمي حريات مشروعة لأي شعب وإذا كان هناك تنفيذ عملي لتلك الحرية فإنه يكون شعبا حرا. إن بلدا يخضع للقمع والاستبداد قد يكون بلدا مستقلا من السطان الأجنبي، ولكنه لا يكون بلدا حرا. ولذلك يمكن القول إن الحرية والاستقلال يستلزم واحد منهما الآخر حتما، ولا معنى لواحد منهما دون غيره.

ولكن ما يحدث كثيرا، أن الأنظمة القمعية تستغل الاستقلال كحربة في قمع المعارضين، وكلما قاومت مجموعة القمع الداخلي وصمدت أمام النظام القمعي، سيتم اتهامها بالعمالة للأجانب وبمعادة الاستقلال.

إلى جانب الاعتقاد بالقمع، هناك نظرية أخرى اليوم تقول إن الحرية الداخلية والرفاه المادي أكثر أهمية من الاستقلال السياسي لأي بلد. ففي لقاء جماعي لعدد من المحللين الأفغان في السفارة البريطانية في كابول، خاطب محلل أفغاني السفير البريطاني قائلا ومتأسفا: "إن ثورة آبائنا ضد الاستعمار الإنكليزي كانت ثورة ضد المدنية، ولولاها، لكنا اليوم مثل باكستان في رقي اقتصادي!".

دور الاستبداد

عندما ننظر إلى تاريخ دول العالم الثالث، وإلى تاريخ بلدنا بالذات، نرى أن تاريخه الداخلي يزخر بالاستبداد الداخلي. فإن مستبدي الداخل توسلوا دوما إلى الاستعمار الخارجي لبقاء حكمهم عبر عملية القمع بإعانة الأجانب.

في أي بلد عندما يكون هناك استبداد داخلي، فإن حكامه يضطرون للتوسل إلى الأجانب لاستمرار حكمهم. في مثل هذه الحالات وإن تظهر تلك الأمة حرة، لكن الاستعمار يحكمها بطريقة خفية. هي حالة عاشها الأفغان بعد اعتراف الاستعمار الإنكليزي باستقلال بلدهم.

الاستقلال والتجريد

وكان الحكام المستبدون وعملاء الاستعمار يحاولون في الماضي أن يسدوا الباب على وجه كل رقي اجتماعي في المجتمع، لعلهم بذلك يحافظون على جهل الشعوب، ويحكموا حياة الأمم كما يرغبون. ومثل هذه الأنظمة القمعية تحاول دوما تجريد البلد وإبعاده عن بقية الدول، وكانوا يتخذون الاستقلال ذريعة لهذا العمل. إن قضية زيارة أتباع دول الجبهة الشرقية خارج بلدانهم، أثناء الحرب الباردة، وزيارة الأفغان إلى الدول الأجنبية فترة حكم ظاهر شاه وداؤد خان، خير مثال لتلك الحالة.

ولكن اليوم وبسبب ثورة الاتصالات، لا يمكن لأي بلد أن يحس بالاستقلال في حالة التجريد. فترة حكم طالبان مثال لذلك، إذ تجريد البلد لم ينفع في الحفاظ على استقلاله من الأجانب شيئا. فإن الحفاظ على الاستقلال الوطني يمكن بالمشاركة الوطنية في الحكم فقط وذلك ليشعر كل فرد أنه صاحب الأرض والديار، ويستعد كل أبناء الوطن للتضحية من أجل البلاد.

دور الأبطال في التاريخ

يقول توماس كارلايل، إن الأبطال هم صانعو التاريخ. مع أن الفلسفة الاجتماعية لا تُرجع التغيير الذي يحدث في التاريخ إلى عنصر واحد، إلا أننا نعرف جيدا أن التغييرات التاريخية في معظم الأحيان تتشكل نتيجة أفكار وأعمال القادة والزعماء والنخبة لكل شعب وأمة. وهؤلاء الفئة بأنفسهم يُعتبرون نتيجة للتغيير والرقي في مجتمعهم.

في أفغانستان أيضا، عندما يُذكر استقلال البلد الحاصل قبل 95 سنة، يأتي معه ذكر أمان اللّه خان كملك ذي همة للبلد، إذ حصل على الاستقلال في 1919م.

استقلال اليوم

وقد ظهر في الأوساط الأفغانية بعد عام 2001م، "مفكرون مثقّفون" يكررون للشعب أن الاستقلال بمعنى عدم وجود أي سطلة أجنبية على رقاب الشعب، مفهوم خاص لفترة الحرب الباردة. وأن الاستقلال قد فقد مفهومه القديم، والعالم الآن أصبح قرية صغيرة، ولا يمكن لأي بلد أن يقوى على السير والرقي دون الاتكاء على الدول العظمى.

ومثل هذا التعريف للاستقلال من شأنه أن يخدع عامة الناس بشكل كبير، لأن "الاتكاء" و"سلطة الأجانب" شيء، و"العلاقة" مع الأجانب شيء آخر. إن الأمم الحرة تحفظ مصالحها العليا في علاقاتها مع الدول الآخرى. والمصالح العليا هي وسائل وعدة تمكن الأمة من الحفاظ على نفسها في مواجهة التحديات والتهديدات الأجنبية المختلفة.

وفي هذا المجال يرّغب الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال المسلمين بالرجوع إلى "الذات" ويرى أن سلطة الأجانب تستنزف قوى الأمة وتقتل الذات وتوفر لسلطة الاستعمار النفَس الطويل للبقاء.

في أفغانستان، يرى الجميع أن الأزمات المختلفة يرجع أساسها إلى أننا فقدنا الثقة بيننا واليقين على قدراتنا، ولذلك ربطنا مستقبلنا بمساعدات أجنبية. إن الحضور الأجنبي في البلد سبب في بقاء هذا الإحساس الفتاك، ويسد رجوعنا إلى أنفسنا. وما دمنا على هذه الحال فإن الاحتفال بالاستقلال، عادة مكررة، وما دام الأجانب يحكموننا، فإن الاحتفال بالاستقلال لا يذكرنا بعظمة مفخرة وطنية كبيرة، بل ويذكرنا بالدنية، إذ لم نحافظ على استقلالنا بعد تلك التضحيات الجسام.

أفغانستان في فخ مؤامرات أمريكا وباكستان

لقد أحدثت عمليات الجيش الباكستاني في وزيرستان الشمالية كارثة إنسانية، ويبدو أن باكستان تريد عبر تنفيذ مثل هذه العمليات أن تركض وراء أهدافها الاستراتيجية أكثر من أي وقت آخر.

وفي صعيد متصل وعبر تكثيف القصف الصاروخي على المناطق الشرقية في أفغانستان، والتهديد المباشر بالهجوم الجوّي أو الأرضي، تضع باكستان على الجانب الأفغاني ضغوطا من أجل أهدافها وأهداف أصدقائها. وقد كلفت السياسات الباكستانية الخاطئة البلد مع ساسته رصيدا كبيرا، وهم الآن يبحثون طرقا جديدة لحل الأزمات.

المصالح الأمريكية الباكستانية والمشاكل الموجودة

إن أمريكا لها تأثير كبير على المنطقة بشكل عام، ويحظى بالتأثير القوي على العلاقات الثنائية بين أفغانستان وباكستان بسبب الحضور الأمريكي في أفغانستان، هذا مع عدم إمكانية جحود المصالح الموجودة بين هذه الدول الثلاث من منظار التحليل السياسي.

أمريكا تحس بالضرورة لباكستان. فعلى الأمد القريب إن تعزيزات الحرب الدائرة في أفغانستان، والتعاون الأرضي والجوي المباشر، وعلى الأمد البعيد التعاون مع الأهداف الأمريكية في المنطقة، أمور تدفع أمريكا نحو صداقة باكستان، ولذلك أطلق أمريكا مع باكستان لعبة ثنائية، لعبة تتقلب من آن لآخر بين التطميع والتآمر.

حاليا تدور العلاقات الأمريكية الباكستانية حول التعاون في مجال مكافحة "الإرهاب" ولكن في المستقبل قد يكون محور هذه العلاقات التعاون الباكستاني مع أمريكا في مواجهة القطب الروسي أو الصيني في المنطقة.

ولكن باكستان، إذ تواجه الآن أزمة اقتصادية سياسية، إضافة إلى أزمة الانفصاليين، فإنها ترى أن المساعدات الأمريكية المالية والتي تصل إلى ملايين الدولارات، إلى جانب التعاون السياسي الأمريكي تشكل محور تلك العلاقات. وفي نفس الوقت تقلق سياسة أمريكا المزدوجة الجانب الباكستاني كثيرا، وهو أمر أضر بالصداقة الأمريكية الباكستانية إلى حد كبير.

إن باكستان تدرك الآن جيدا أنها لا تستطيع التعويل على صديقتها الاستراتجية كما كانت تفعل من قبل، وقد تم تجاهل معاهدات واتفاقات ثنائية في كثير من الأحيان. فالمعاهدة التي تمت بين الطرفين في 1956م، وأعطت باكستان قاعدة عسكرية لأمريكا في "بده بيره"، فعندما انفصلت بنغلاديش من باكستان كان على أمريكا بموجب تلك المعاهدة أن تساعد باكستان، ولكن أسطولا تحرك لمساعدة باكستان لم يصل أبدا.

وفي السنوات الأخيرة أيضا، عندما غزت القوات الأمريكية والناتو أفغانستان، تم توقيع بعض الاتفاقيات مع باكستان، وهي اتفاقيات لم تحظ بالمراعاة من الطرفين، بل كل نقضها عند قدم المصالح، وهناك من يعتقد أن أمريكا هي التي تحرك الأزمات الحالية في باكستان.

رغم ذلك كله، إن باكستان نتيجة سياستها وصلت إلى حالة، يكلفها الوقوف في وجه أمريكا الكثير، وهي ترى نفسها مجبرة على المضي في طريق سياسات الحلقات الغربية وأهدافها.

بشكل عام، ورغم وجود تعارض كبير بين المصالح الأمريكية والباكستانية، إن أمريكا ولعوامل كثيرة لا يمكن لها أن تتجاهل أهمية الدور الباكستاني في المنطقة وحتى في الشرق الأوسط، ولا يمكن أن تتجاهل المصالح الباكستانية أيضا، وعلى سبيل المثال فإن أمريكا تفضل أن تبقى قريبة من با كستان من أجل نضالها البارد مع الصين.

المشاركة الأمريكية الباكستانية في أفغانستان والسياسة المزدوجة

يمكن لنا أن نعد استمرار الحرب في أفغانستان، وإعاقة تشكيل حكومة قوية، واستغلال أفغانستان لتنفيذ سناريوهات غربية في المنطقة، مصالح مشتركة بين أمريكا وباكستان في أفغانستان، وقد رجحت أمريكا باكستان على أفغانستان دوما. مع أن هذا الميلان الأمريكي إلى باكستان، لا يعني تسليم الملف الأفغاني إلى باكستان وقوى أخرى، بمقتضى مفهوم السياسة الأمريكية في 1989م.

هناك سياسات أمريكية باكستانية كثيرة أضرت الطرفين، وشكلت أزمات في طريق الصداقة بين البلدين. النظرة والعلاقة المختلفتان تجاه الهند، اختلاف علاقات البلدين مع الصين وإيران، اختلاف سياستهما تجاه روسيا وآسيا الوسطى، وأمور أخرى، تعرقل السياسة المشتركة بين البلدين، ويدخل الطلب الباكستاني من أمريكا لتقويض النفوذ الهندي في أفغانستان، تلك القائمة المتنازعة عليها.

وقد حاولت استخبارات كل من البلدين إضرار نظيرتها أيضا، فعندما بدأت الحكومة الباكستانية مفاوضات السلام مع المعارضة المسحلة، وكان الهدف من وراء ذلك استغلال الانسحاب الأمريكي من أفغانستان، أقبلت أمريكا عبر طائراتها بلاطيّار على قتل زعيم حركة طالبان حكيم اللّه محسود في مرحلة مهمة من المحادثات، ومن جانبها سارت باكستان على درب الثأر أيضا.

يبدو أن بعض سياسات أمريكا في أفغانستان، وخاصة التحركات الأمريكية بعد الجولة الثانية من الانتخابات الأفغانية، قد أقلقت الجانب الباكستاني كثيرا، هذا إضافة إلى موجة الاضطرابات المتزايدة في باكستان، ولنفس السبب ضاعفت باكستان من ضغوطها. فتصاعد وتيرة القصف الصاروخي على المناطق الشرقية الأفغانية، وتنشيط مليشيات على الحدود الأفغانية، والتهديد بالهجوم، كلها ضغوط غير مباشرة على أمريكا، وإجراءات تتعارض مع الاتفاقيات الأمريكية الباكستانية. إن باكستان تعيش حالة من الاضطراب، وترى أنها مجبرة على تعارض السياسة الأمريكية في أفغانستان، رغم أنها تدرك مغبة هذا السلوك، ولذلك تسعى في نفس الوقت لإنقاذ نفسها.

لا شك أن باكستان تسعى من وراء مصالحها في الصداقة مع أمريكا، وتريد أن تستغل القوة الأمريكية في تنفيذ برامج طويلة المدى، وفي حل قضية خط "ديوراند"، ودحر حركة طالبان باكستان، وفي استعدادها لمواجهة الهند وغيرها من الأهداف.

موقف أفغانستان

لا يمكن رفض الحقيقة بأن اللعبة الجارية في المنطقة لها فائز وخاسر، والفائز فيها يكون إما الذي أخذ زمام المبادرة بيده أم الذي تعامل مع القضية بلياقة وكان له نفوذ تنفيذ قوي في المنطقة.

أفغانستان، قبل 60 سنة تقريبا، ومنذ أن صوتت في الأمم المتحدة معارضة تشكيل باكستان، لم تتخذ موقفا ولم تسلك طريقا مؤثرا يمكّنها من الدفاع عن مصالحها.

لا يمكن لأفغانستان أن تضع ضغوطا دولية على باكستان، وكلما أحست بضرورة هذه الضغوط لجأت إلى أمريكا، الدولة التي تقف وراء التهديد الباكساني لأفغانستان. إن إجراءات الحكومة الأفغانية ومنها استدعاء السفير الباكستاني، محاولة لخداع الشعب ولم تكن لها أي نتائج.

حتى أن الحكومة الأفغانية لا تتمكن من وضع ضغوط إعلامية على باكستان، هذا وباب الضغوط الاقتصادية مسدود بالفعل الأمريكي، فالحكومة الأفغانية لا ترفع خطوة في هذا الاتجاه ولا هي قادر أن ترفع تلك الخطوة.

لاسيما وفي السنوات العشر الماضية، ورغم وجود القوات الأجنبية في المنطقة من أجل اللعبة الجارية، كانت سياسة أفغانستان الخارجية ضعيفة جدا. لم تكن للحكومة الأفغانية دبلوماسية مؤثرة ولا سياسة خارجية قوية، وفي السنوات الأخيرة لم تتخذ أي إجراء لافت في وجه المؤامرات الغربية الواضحة.

مع أن أفغانستان تعيش فترة مواجهة مع قوى عالمية عظمى، ولكن النفوذ الغربي في مؤسسات الدولة أفقد أفغانستان كثيرا من عناصر القوة والمصالح، بل ويشكل تهديدا وعرقلة لمستقبل البلد، وتبقى التهديدات الباكستانية المباشرة وغير المباشرة، خير مثال لتلك الحقيقية.

إلى جانب ذلك فإن المحادثات، والاجتماعات، والمؤتمرات لم تجد نفعا، لأن اليقظة الأفغانية وقوة صمودها كانت ضيئلة جدا في مواجهة المؤامرات الإقليمية والدولية، فيما ملك الأجانب زمام المبادرة على كل صعيد. النهاية

تواصل معنا:

البريد الإلكتروني:info@csrskabul.com – csrskabul@gmail.com

الموقع: www.csrskabul.com

رقم الهاتف: **784089590 (+93)**